أزمة الخطاب الاسلامي

الكاتب : عباس شريفة

التاريخ : 7 ديسمبر 2015 م

المشاهدات : 7475

أنواع الخطابات الحزبيّة التي تطفو على الساحة:

1- الخطاب المتشائم:

أصحابه ذو طابع سوداويّ ونظرتهم إلى الحياة متشائمة، يتطيَّرون بكل دعوة للإصلاح شرّاً ويتردد على ألسنتهم دائماً أنّنا في آخر الزمان وأنّ أمراض الأمّة وتخلّفها مستعصية على كل الحلول، وأنّ الفساد في كثرةٍ والخير في نُدرةٍ والكفر في إقبالٍ والإسلام في إدبارٍ، وأنّ على المسلم الاعتزال اتقاءً لشرور الناس حرصاً على دينه، وأنّ الإسلام سيعود غريباً كما بدأ، وأنّ الفتن أقبلت كقِطعِ الليل المظلم، وأنّ القابض على دينه كالقابض على الجمر، وأنّ عُرى الإسلام سوف تنقُص عروةً عروةً، فنحن بين يدي الساعة وما بقي إلا الدجال، فالموت تحفةٌ لكل مؤمن، وهؤلاء ينقصهم فقه في إنزال أحاديث الفتن على الواقع.

2ـ الخطاب الحالم المثالي:

يتكلم أصحابه عن أحلامٍ ورديّة، فتَفهم من محتوى حديثه أن الإسلام سينتصر من الغد، ودولة الإسلام قاب قوسين وخلافة الله تلوح من قريب، ونحن على أبواب القدس، هذا الخطاب يريد حصاداً بلا بذار ونتائج بلا مقدمات، يريد حضارة بلا مراحل وفقهٍ للسنن الكونية الجارية، يريد زبيباً بلا عناقيد يستعجل الفتح وهو لا يدري عن ألف بائه شيئاً فهو يبني على الرغبة والتمني لا الواقع والإمكانيّات، وهؤلاء ينقصهم فقه الواقع والإمكانات، حتى نجني الأهداف لا بدّ من سلك سبيلها دون تواكُلٍ وبطالة.

3- الخطاب التصادمي:

الأصل عندهم في الناس الكفرُ والعَداءُ والاتّهام، وسوءُ الظن عندهم مقدم على حسن الظن، أخذوا فِقهَهُم من السجون فغالوا في أحكامهم وابْتُلوا بأربع أمراضٍ: التفسيق والتبديع والتكفير والتفجير، شاهرين سيفَ الجدل والمِراء، ويكفرون حتى من خالفهم بالفروع، فيهم شيء من فقه الظواهر وغلو الخوارج وجفوة الأعراب، مشكلتهم أنّ تصوُّرَهم بُنيَ على ردّةِ فعلٍ لما عانَوه من ظلم الحكام، فهم يحتاجون إلى فقه المآلات وفقه المرحلة.

4- الخطاب المائع:

وهو الذي فقد هويته وخصائصه وانتمائه وذاب في غيره، مسحور بكل جديدٍ ومعجب بكل وافدٍ ولو كان مخالفاً للقطعيّات في الدين، يتنازل ويُسايِر ويتميَّعُ تحت عناوين حوار الأديان وتقارب المذاهب، فَتَحْتَ عنوان حوار الأديان تُحْرَفُ الأديان، وتحت عُنوان تقارب المذاهب يُسَيَّسُ الدين ويُجعَل منه تكاءة للسّاسة والبلاط، هؤلاء يعطون لكل وافدٍ وصف الإسلام ويُضْفون عليه مسحة الدين، فإذا انتشرت الاشتراكية قالوا: وهل الإسلام إلا دعوة للاشتراكية! وإن راجت الديمقراطية قالوا: وهل هي إلا الشورى! حتى أنَّ منهم من ادّعى أنّ الإسلام سبق دارون إلى نظريته!

هم يُحاولون أن يصطلحوا مع اللبرالية والحداثة والعلمانية فدخلوا في السياسة وأكلوا من حلوائها وسكتوا عن أهوائها، وجدت العلمانية فيهم مرتعاً خصباً لنفث سمومها وجعْلِ الدين مَطيَّة لغاياتها، هؤلاء مبتلون بالسّذاجة وحسن الظنّ الزائد والانهزام النفسيّ والشكّ في الإمكانات، واستسلاماً للتيارات بحُجَّة التقارب والحوار أوّلَوا المحكمات ونسفوا الثوابت ولَوَوا أعناق النصوص، فكان اجتهادهم مردوداً وفكرهم مَمْجُوجاً.

5- الخطاب الاجتراري التقليدي:

الذي يَجْتَرُّ ما سَلَفَ من المناهج والأفكار، دُعاته يُفكّرون بعقول الموتى أغلقوا باب الاجتهاد غيرةً أن يَلِجَهُ من ليس أهلاً له، تعصّبوا لمذاهبهم ومشايخهم، يُعالِجون مشاكل العصر بفقهِ قرون الانحطاط الفقهيّ والتقليد المذهبيّ، يعيشون مع الماضي، ليس لهم روح عصرهم! مع أن السّلف كانوا يجتهدون لعصرهم، الأمر الذي فتح الباب أمام الفُقهاء الوضعين: يجتهدوا، ويقطعوا أشواطاً بالفقه الدستوري والإداري والاقتصاديّ، شعارُهُم الدائم: ما ترك الأوّلون للآخرين من شيء! ونحن نقول بل كم ترك الأوّلون للآخرين، لذلك جاءت مؤلّفاتهم تجْترُّ الحواشي والمتون، ولما أرادوا أنْ يجتهدوا عادوا إلى الاستنجاء وآداب الخلاء، فكان اجتهادهم لا يعدو أن يكون نُقولاً وتجميعاً، وفي أحسن الأحوال ترجيحات لا يلتزمونها.

هؤلاء يحتاجون إلى فقه التجديد والاجتهاد.

6- الخطاب الاختصاري المجتزأ:

الذي يختصر الإسلام في جزء من أجزائه ويضخمه على حساب غيره ويُصوّره على أنَّه الإسلام بكُلِّه، يريدون الإسلام عقيدةً بلا شريعة ودعوة بلا دولة وسلاماً بلا حقوقٍ وتزكيةً بلا جهادٍ وحقاً بلا قوةٍ، فمنهم من ضخّم مسألة تزكية النفس وعَمِيَ نظرُه عن غيرها، وهذا يأخذ الجهاد ويقول: هذا هو الإسلام، والثالث يعتبر الدعوة أُسَّهُ وأساسه وما دونها هباءً! والرابع يجعل من قيام الدولة الإسلاميّة دَيْدَنَهُ وجُلَّ شُغلِه، والخامس يعتبر قمع البدعة نهاية غاية الدين. هؤلاء يحتاجون إلى ترسيخ مبدأ الفقه الشمولي للإسلام.

الخطاب الإفيوني التخديري:

وهو الخطاب المُغرِقُ في القضايا الغيبيّة بدون تمحيص للأسانيد، مبنيٌّ على ثلاثة مرتكزات:

أولاً: العقيدة الجبرية، يُصوّرُ الإنسان مسلوبَ الإرادة وأنَّه مُساقٌ إلى مصيره بخيوط القدرة.

ثانياً: يتحدث عن المُخلّص في آخر الزمن وخروج المهدي ونزول عيسى عليه السلام وأنّ مشاكل الأمّة لن تنْحلّ إلا بهذا المخلص، فكلّ جهد قبل ذلك عناءٌ وهباء.

ثالثاً: يرتكز هذا الخطاب على اعتقاد مَفادُه أنّ الكون مُسيّرٌ بدولة أولياء باطنية لهم حق التصرف في الكون، فهو كالذي

يعالج بالمسكن بدلاً من استئصال العِلة، وهو خطاب تبرريّ لكل الأخطاء، يُبرر الاستبداد بحُجَّة طاعة وليّ الأمر، ويُبرر المعاصي بحُجَّة أنَّها من قدر الله، ويُبرر البدع بحُجَّة البدعة الحسنة ويُبرّر ترك الجهاد بحُجَّة جهاد النفس، ويُبرر الخرافات على أنَّها كرامات لأصحابها، ويبرر رواية الأحاديث الضعيفة بحُجَّة العمل بها من فضائل الأعمال.

مصادرُ المعرفة لديه الإلهاماتُ والمناماتُ والآثارُ الواهية، هذا النموذج يحتاج إلى فقهِ الواقع وضبط مصادر المعرفة.

8- الخطاب الرشيد:

لابُدّ من صياغة الخطاب الرشيد الجامع للأمّة، لا بدّ من تبنّي خطاب إسلاميّ يرشد الصحوة الإسلاميّة

ويكون لبِنة أساسية في المشروع الحضاريّ للأمّة وليس عمله كعمل إطفاء الحرائق الذي يعالج العرض دون المرض يوصف الأمراض دون دواء وينشغل بالهدم دون البناء، إنَّه الخطاب الوسطي الإيجابي الشموليّ، يدعو لإسلام التيسير لا التعسير والتبشير لا التنفير والرفق لا العنف والتعارف لا التناكر والتسامُحِ لا التعصب والجوهر لا الشكل والعمل لا الجدل والعطاء لا الادعاء والاجتهاد لا التقليد والتجديد لا الجمود والانضباط لا التّسيُّب والإعتدال بدون غلو ولا جفاء، ثابت في الأصول والمقاصد، مَرِنٌ في الفروع والوسائل متدرج في التغيير على حسب القدرة مرتبط بالسلف متصل بالعصر يُراعي فقه الأولويّات وفقه المآلات وطبيعة المرحلة، ويعي السنن الكونية في بناء المجتمعات دون مُغالبةٍ ولا تقصير ولا انحراف ولا اصطدام، يعالج الكليات ولا يفرق في الجزئيات، متوقف بالعبادة يبتدع في المصالح والعادات.

نور سورية

المصادر: